

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة

إِعْجَازُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

٢١ أغسطس ٢٠٢٦

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ عِبَادَ اللَّهِ! فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ هُوَ كِتَابُ اللَّهِ الْمُعْجَزُ الَّذِي أَنْزَلَهُ رَبُّنَا جَلَّ جَلَالُهُ عَلَى قَلْبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا، فَتَحَدَّى اللَّهُ بِهِ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، أَوْ يَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ، أَوْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، فَعَبَّرُوا عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَهَذَا الْكِتَابُ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت: 42]، فَتَحَّ اللَّهُ بِهِ أَعْيُنًا عَمِيًّا، وَأَذَانًا صَمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا، وَهَدَى النَّاسَ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَنَجَّاهُمْ مِنَ الْجَهْلَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ الْعَمَى، وَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، قَالَ تَعَالَى:

سورة الأنعام — آية ١٥٥-١٥٧

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾

وَجَاذَةُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ مَعَ غَرَارَةِ مَعَانِيهِ — أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ وُجُوهَ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَيَكْفِينَا أَنْ رَبَّنَا جَلَّ جَلَالُهُ وَصَفَ هَذَا الْكِتَابَ الْمُعْجَزَ بِأَوْصَافٍ لَا تَنَائِي لِكَلَامٍ سِوَاهُ.

فَمِنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ: وَجَاذَةُ أَلْفَاظِهِ مَعَ غَرَارَةِ مَعَانِيهِ، تَجِدُ الْآيَةَ مُوجِزَةً قَدْ اشْتَمَلَتْ عَلَى أَلْفَاظٍ مَعْدُودَةٍ، لَكِنَّ مَعَانِيَهَا غَزِيرَةٌ، مَا تَحْتَمِلُهُ مِنَ الْمَعَانِي لَا يَسْتَطِيعُ وَاحِدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَنْ يَعْبِرَ عَنْهَا بِتِلْكَ الْأَلْفَاظِ الْمُوجِزَةِ، تَأَمَّلْ فِي قَوْلِ رَبَّنَا جَلَّ جَلَالُهُ:

سورة البقرة - آية ١٧٩

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

وَتَأْمَلْ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:

سورة فصلت - آية ٣٤

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

وَفِي قَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ:

سورة سبأ - آية ٥١

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَا فَوْتَ وَأَخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾

وَهَكَذَا سَائِرُ الْقُرْآنِ تَجِدُ فِيهِ السُّورَ الْقَصَارَ وَالسُّورَ الطُّوَالَ، وَالْآيَاتِ الْقَصِيرَةَ، وَالْآيَاتِ الطَّوِيلَةَ، وَهِيَ كُلُّهَا مُعْجَزَةٌ بِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَانِي الْعَظِيمَةِ.

إِخْبَارُ الْقُرْآنِ عَنِ الْأُمَمِ الْغَابِرَةِ - وَمِنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ عِبَادَ اللَّهِ! مَا أَخْبَرَ عَنْهُ مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ الْغَابِرَةِ، وَالْقُرُونِ الْمُنْدَثِرَةِ الَّتِي مَا كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاصِرًا لَهَا، وَلَا حَاضِرًا بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِهَا، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

سورة يوسف - آية ١٠٣

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾

وَيَقُولُ فِي قِصَّةِ مَرْيَمَ:

سورة آل عمران - آية ٤٤

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾

وَيَقُولُ فِي قِصَّةِ مُوسَى:

سورة القصص — آية ٤٤

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾

هَكَذَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ هَذَا الْقُرْآنَ، وَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ جَمِيعًا مَتَى وُلِدَ، وَإِنِ وُلِدَ، وَعَلِمَ النَّاسُ جَمِيعًا أَنَّهُ أُمِّيٌّ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، وَأَنَّهُ مَا تَرَدَّدَ عَلَى عُلَمَاءَ، وَلَا اخْتَلَفَ إِلَى أَحْبَارٍ وَلَا رُهَبَانٍ، وَإِنَّمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ قُرْآنًا يُتْلَى، حَكَى فِيهِ بَدْءَ الْخَلِيقَةِ، وَمَا كَانَ مِنْ قِصَّةِ آدَمَ مَعَ إِبْلِيسَ، وَسَرَدَ فِيهِ أَخْبَارَ نُوحٍ مَعَ قَوْمِهِ، وَمُوسَى مَعَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ، وَذِي الْقَرْنَيْنِ وَلِقْمَانَ وَسَائِرِ الْأُمَمِ الْغَابِرَةِ، وَالْقُرُونِ الدَّائِرَةِ فِي قِصَصٍ تَكَرَّرَتْ فِي الْقُرْآنِ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، قَالَ تَعَالَى:

سورة النساء — آية ٨٢

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

بَلْ فِي هَذَا الْقُرْآنِ إِخْبَارٌ عَمَّا كَانَ فِي الشَّرَائِعِ مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي سَتَرَهَا أَصْحَابُهَا وَأَخْفَوَهَا عَنْ عَوَامِهِمْ، فَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ فِي الْقُرْآنِ يَقُولُ:

سورة النمل — آية ٧٦-٧٧

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَإِنَّهُ لَهْدَى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

وَفِي الْقُرْآنِ يُخْبِرُ رَبُّنَا جَلَّ جَلَالُهُ عَمَّا حَرَّمَهُ عَلَى تِلْكَ الْأُمَمِ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ، وَتَعْدِيهِمْ أَمْرَ رَبِّهِمْ، قَالَ سُبْحَانَهُ:

سورة النساء — آية ١٦٠-١٦١

﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ وَقَدْ نَهَوْا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

وَقَالَ سُبْحَانَهُ:

سورة آل عمران — آية ٩٣

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَآئِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾

ثُمَّ يَتَخَذَهُمْ جَلَّ جَلَالُهُ قَوْلُهُ:

سورة آل عمران — آية ٩٣

﴿قُلْ فَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

هَكَذَا يَقْرَعُهُمْ وَيُظْهِرُ كَذِبَهُمْ، وَيُبَيِّنُ عَوَارِئَهُمْ، وَيَهْتِكُ أَسْتَارَهُمْ، وَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ لِهَذَا الْقُرْآنِ تَكْذِيبًا وَلَا مُعَارَضَةً. إِنْخِبَارُ الْقُرْآنِ بِمَا يَكُونُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَيَّامِ — وَمِنْ إِعْجَازِهِ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ عِبَادَ اللَّهِ! مَا أَخْبَرَ عَنْهُ مِنَ الْغُيُوبِ الَّتِي تَكُونُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَيَّامِ، نَقَرًا فِي الْقُرْآنِ قَوْلَ رَبَّنَا:

سورة القمر — آية ٤٥-٤٦

﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدِّيرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾

إِنَّ نَزَلَتْ هَاتَانِ الْآيَاتَانِ؟ نَزَلَتَا فِي مَكَّةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَعَانُونَ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَاسْتِهْزَائِهِمْ وَسُخْرِيَّتِهِمْ وَتَعْدِيَّتِهِمْ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدِّيرَ [القمر: 45]، يَقُولُ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَا عَلِمْتُ تَأْوِيلَهَا إِلَّا حِينَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ يَثْبُ فِي دِرْعِهِ، يَهْدُ الْمُشْرِكِينَ بِسَيْفِهِ، وَهُوَ يَقْرَأُ: سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدِّيرَ [القمر: 45]).

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ رَبَّنَا جَلَّ جَلَالُهُ:

سورة الروم — آية ٢-٤

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾

مَا أَتَتْ بِضْعُ سِنِينَ حَتَّى صَدَقَتْ نُبُوءَةُ الْقُرْآنِ، وَعَلِمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ أَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ رَبَّنَا جَلَّ جَلَالُهُ:

سورة النور — آية ٥٥

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾

وقوله سبحانه:

سورة التوبة — آية ٣٣

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾

وقوله سبحانه:

سورة النصر — آية ١-٣

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾

هَذِهِ الْآيَاتُ كُلُّهَا نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ بَيْنَ النَّاسِ، وَمَا كَانَ دِينُهُ إِلَّا فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، مُحْصُورًا مَقْصُورًا، وَتَوَفَّى صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فَمَا أَتَتْ عَلَى النَّاسِ عِشْرُونَ سَنَةً حَتَّى كَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ بَلَغَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ، وَدَكَّتْ جُيُوشُ الْمُسْلِمِينَ مَعَاقِلَ فَارَسَ وَالرُّومِ، وَفُتِحَتْ بِلَادُ الْيَمَنِ، وَفُتِحَ الشَّامُ الْإِفْرِيقِيُّ، بَلْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَغْزُونَ فِي الْبَحْرِ، وَيَدُقُّونَ أَبْوَابَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ عَاصِمَةِ الدَّوْلَةِ الْبِيزَنْطِيَّةِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، مُصَدِّقًا لِهَذِهِ النُّبُوءَةِ الْقُرْآنِيَّةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

حَدِيثُ شَرِيفٍ

(إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى زَوَى لِي الْأَرْضَ حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَلَا يَبْقَى بَيْتٌ شَعْرٍ وَلَا مَدْرٍ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ فِيهِ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ)

صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ، قُلْ صَدَقَ اللَّهُ [آل عمران:95]، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا [النساء:87]، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا [النساء:122]، اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَبَيَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَارُهُمَا صِدْقًا، وَأَحْكَامُهُمَا عَدْلًا، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ [النجم:3-4].

وَمِنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ عِبَادَ اللَّهِ! أَنَّهُ تَحَدَّى الْيَهُودَ وَالْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ فِي آيَاتٍ بِأُمُورٍ، تَحَدَّاهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهَا وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ لَنْ يَفْعَلُوهَا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ رَبِّنَا جَلَّ جَلَالُهُ مُخَاطَبًا الْيَهُودَ:

سورة البقرة — آية ٩٤

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ [البقرة:95]، قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الْيَهُودُ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ، الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً [البقرة:80]، الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ فَوْقَ النَّاسِ، وَأَنَّهُمْ خَيْرُ النَّاسِ، وَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ النَّاسِ، قُلْ لَهُمْ: قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ [البقرة:94]، إِنْ كَانَتْ الْجَنَّةُ حِكْمًا عَلَيْكُمْ، خَالِصَةً بِكُمْ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ [البقرة:95]؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كُفَّارٌ فَسَاقٍ، مُتَعَدُّونَ لِأَوَامِرِ اللَّهِ، وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا، وَرُويَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ قَالَهَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لَغَصَّ بِرِيقِهِ)، أَيُّ: لَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ، لَكِنَّهُمْ مَا اسْتَطَاعُوا.

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَحَدَّى الْكُفَّارَ بِهَذَا الْقُرْآنِ، قَالَ لَهُمْ:

سورة البقرة — آية ٢٣

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ﴾

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ [البقرة:24]، تَحَدَّاهُمْ بِأَنَّهُمْ لَنْ يَفْعَلُوا فَمَا اسْتَطَاعُوا.

فَضَحَّ الْقُرْآنُ لِلْمُنَافِقِينَ — وَمِنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ عِبَادَ اللَّهِ! أَنَّهُ فَضَحَ حَبِئَةً تِلْكَ النُّفُوسَ الْمُعُوجَّةَ، وَتِلْكَ الْقُلُوبَ الْمَرِيضَةَ، فَحَكَى رَبَّنَا جَلَّ جَلَالُهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ:

سورة الفتح - آية ١١

﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾

وَقَالَ:

سورة آل عمران - آية ١٥٤

﴿يَخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ﴾

وَقَالَ عَنِ الْيَهُودِ:

سورة المجادلة - آية ٨

﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسِبَهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَنُفْسَ الْمَصِيرِ﴾

حَالَةُ الدَّهْشِ وَالْإِعْجَابِ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الْقَلْبُ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ - وَمِنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ عِبَادَ اللَّهِ! تِلْكَ الرَّوْعَةُ الَّتِي تَأْخُذُ بِقُلُوبِ سَامِعِيهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِ، مُؤْمِنًا كَانَ الْمَرْءُ أَوْ كَافِرًا، تَأْخُذُ قَلْبَهُ رَوْعَةً يَدَّهْشُ عِنْدَ سَمَاعِ هَذَا الْقُرْآنِ، فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

حَدِيثٌ شَرِيفٌ

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ فَقَرَأَ سُورَةَ الطُّورِ فَجَعَلْتُ أَسْتَمِعُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلَهُ تَعَالَى: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِيبِكُمْ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ * أَمْ لَهُمْ سُلُوكٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَيَاتُ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ * أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ * أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ * أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ [الطور: 35-43] قَالَ جُبَيْرٌ: فَكَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ إِلَى الْإِسْلَامِ)

بِهَذِهِ الْآيَاتِ الْوَجِيزَاتِ الْقَصِيرَاتِ اللَّائِي سَمِعْنَهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَكَذَلِكَ عُتِبَ بِنُ رِبْعَةٍ لَمَّا سَاءَ أَدَبُهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ! مَا رَأَيْتُكَ أَشَامَ مِنْكَ، لَقَدْ عِبْتَ أَلْهَتَنَا، وَسَفَّهْتَ أَحْلَامَنَا، وَفَرَّقْتَ جَمَاعَتَنَا، فَانْظُرْ مَاذَا تُرِيدُ؟ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مُلْكًا مَلَكَكَ عَلَيْنَا، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ حَتَّى تَصِيرَ أَغْنَانَا، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ نِسَاءً فَانْظُرْ أَجْمَلَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ نَزَّوَجَكَ عَشْرًا، وَإِنْ كَانَ الَّذِي يَأْتِيكَ رَأْيِي مِنَ الْجِنِّ اتَّمَسْنَا لَكَ الطَّبَّ، وَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ هَدْيَانِهِ، وَبَهْتَانِهِ، وَإِفْكِهِ وَزُورِهِ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ الَّذِي مَا كَانَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَلَا صَخَّابًا بِالْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، قَالَ لَهُ: (أَوْقَدْ فَرَعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَارْدُدْ عَلَيَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ، قَالَ لَهُ: فَاسْمَعْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ [فصلت: 1-4] إِلَى أَنْ بَلَغَ قَوْلُهُ تَعَالَى: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثَمُودَ [فصلت: 13]، لِحُجَاءِ الْكَافِرِ وُضِعَ كَفَّهُ عَلَى فِمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! نَاشَدْتُكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ أَنْ تَكْفَ، وَمَا رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، بَلْ رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ، وَقَالُوا: يَا أَبَا الْوَلِيدِ! مَا صَنَعْتَ مَعَ مُحَمَّدٍ، قَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَقَدْ كَلَّمَنِي بِكَلَامٍ مَا سَمِعْتُ أَذْنَايَ مِثْلَهُ قَطُّ، وَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، وَهُوَ كَافِرٌ مُحَادُّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَّا أَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ أَخَذَ بِجَمَامِعِ قَلْبِهِ، لَكِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ الشَّقَاوَةُ فِي الْأَزَلِ.

وَمِنْ عِجَازِ الْقُرْآنِ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ عِبَادَ اللَّهِ! أَنَّ قَارِئَهُ لَا يَمْلَهُ، وَسَامِعَهُ لَا يَمِجُّهُ، قَارِئُ الْقُرْآنِ يَخْتِمُهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَلَا يَمْلُ مِنْهُ أَبَدًا، بَلْ يَزْدَادُ عِنْدَهُ حِلَاوَةً، كُلُّ كَلَامٍ سَوَى الْقُرْآنِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَرَّرَهُ يَمْلَهُ، وَسَمِعَهُ يَمِجُّهُ، أَمَّا الْقُرْآنُ فَإِنَّهُ لَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، تَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاً، كُلَّمَا قَرَأْتَهُ ازْدَدْتَ لَهُ حُبًّا، بَيْنَمَا غَيْرُهُ مِنَ الْكَلَامِ مِنْ تِلْكَ الْكُتُبِ الَّتِي حُرِّفَتْ وَبَدِّلَتْ وَغَيِّرَتْ احْتِاجُوا إِلَى أَنْ يَجْعَلُوا لَهَا أَلْحَانًا، وَأَنْ يَمْطُوا بِهَا أَصْوَاتَهُمْ، وَأَنْ يَلُوبُوا بِهَا أَلْسِنَتَهُمْ؛ لِأَنَّ النَّاسَ قَدْ مَلُّوْهَا وَمَجَّوْهَا، أَمَّا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ.

يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ! أَكْثَرُ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ كَلَامُ رَبِّكَ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ فَلْيَقْرَأِ الْقُرْآنَ، اللَّهُ يُكَلِّمُكَ وَيُكَلِّمُنِي، وَيُكَلِّمُهُ وَيُكَلِّمُهَا هَذَا الْقُرْآنَ، وَهُوَ الَّذِي تَكْفَلُ اللَّهُ بِحِفْظِهِ، قَالَ تَعَالَى:

سورة الحجر - آية ٩

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رِبْعَ قُلُوبِنَا، وَنُورَ صُدُورِنَا، وَذَهَابَ هُمُونِنَا، وَجَلَاءَ أَحْزَانِنَا، اللَّهُمَّ عَلِمْنَا مِنْهُ مَا جَهِلْنَا، وَذَكَّرْنَا مِنْهُ مَا نَسِينَا، وَارْزُقْنَا تِلَاوَتَهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِيكَ عَنَّا، وَتَوَبُّوْا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوْهُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَاسْتَعِينَهُ وَاسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

سورة الأحزاب — آية ٥٦

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَعَنْهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ. اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصُرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

اللَّهُمَّ ارْحَمْ وَالِدَيْنَا وَوَالِدَيِ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ، وَارْحَمْهُمْ كَمَا رَبَّوْنَا صِغَارًا. اللَّهُمَّ اشْفِ مَرْضَانَا وَمَرْضَى الْمُسْلِمِينَ، وَفَرِّجْ كَرْبَ الْمَكْرُوبِينَ، وَنَفِّسْ عَنِ الْمَهْمُومِينَ، وَأَقْضِ الدَّيْنَ عَنِ الْمَدِينِينَ. اللَّهُمَّ فَرِّجْ هَمَّ الْمَهْمُومِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَارْفَعْ الظُّلْمَ وَالْبَلَاءَ عَنْ إِخْوَانِنَا الْمُسْتَضْعَفِينَ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا وَاهْدِ بَنَاءَ، وَاجْعَلْنَا سَبِيلاً لِمَنْ اهْتَدَى. اللَّهُمَّ ارْنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ، وَارْنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ. اللَّهُمَّ احْفَظْ بِلَادَنَا وَبِلَادَ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْفَظِ الْبِلَادَ الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا، وَأَدِّمْ عَلَيْهَا الْأَمْنَ وَالْأَمَانَ وَالرِّخَاءَ. اللَّهُمَّ وَفِّ الْقَائِمِينَ عَلَى هَذَا الْمَرْكَزِ وَهَذَا الْمَسْجِدِ، وَبَارِكْ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَاجْعَلْهُ بَيْتًا مِنْ بُيُوتِ الْعِلْمِ وَالذِّكْرِ. اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْعِلْمَ النَّافِعَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ وَذُرِّيَّةً صَالِحَةً.

سورة النحل — آية ٩٠

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

سورة البقرة — آية ١٥٢

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا﴾